(٤)

البروفسير "جيراس"

هذا الضابط الذى يتسم بالهدوء والتدين لا يُعرف بالهزل!

أمام الكمبيوتر يجلس الشاب الذى يتأهب لدخول الكلية الحربية طالب على خطى عبد المنعم رياض والشاذلى وعبد الناصر والسادات ومن قبلهم عزيز المصرى وأحمد عبد العزيز شهيد فلسطين.

من بعيد يتطلع إليه جده الضابط الكبير المتقاعد الذى عاصر حروب مصر وأمضى فى خدمته العسكرية أكثر من ٣٥ عاما ابتداء من حرب فلسطين ٤٨ إلى حرب أكتوبر ٧٣ ومابعدها..

الشاب يبحث على الكمبيوتر عن المزيد من المعلومات عن الرجل الذى أصبح مثله الأعلى وقدوته التى يود أن يمضى على طريقه داخل المعسكر وخارجه وهو السيسى..

يتحرك الماوس تحت أصابعه وتطل المعلومات تقول الدراسة التى أعدها السيسى وقت دراسته بكلية الحرب الأمريكية فى بنسلفانيا كان عنوانها "الديمقراطية فى الشرق الأوسط" لا يمكن النظر إليها من زاوية واحدة فقد كتبها وهو يعلم أن أساتذة الكلية سينظرون إليها ويقومون بتحليلها لمعرفة منهج تفكير هذا القائد العسكرى المصرى وقد راقبوه جيدا فى حياته الخاصة خارج نطاق الدراسة وأدركوا مدى النزاهة وجديته ورغبته الصادقة فى المعرفة والتحصيل وقد قال رأيه بصراحة أمام الأساتذة فى الديمقراطية الأمريكية وضرب مثلا لما جرى فى أفغانستان وما يجرى فى العراق.. نعم هو جاء ليدرس.. لكنهم أيضا يدرسونه وهناك قاعدة تقول: ليس كل مايعرف يقال أو تخطه اليد على الورق ويحتفظ به الأمريكان.. والرجل الذى عمل فى دوائر المخابرات والمعلومات يعرف هذا أكثر من غيره.. حتى لو كانت هذه الدراسة محظورة النشر وفقا لقواعد الكلية.. وهنا نسأل ومن الذى سربها بعد ٣٠ يونيو واتهم السيسى على ضوء ما جاء فيها بأنه يمضى على طريق مبارك وفى نفس الوقت يمضى فى طريق الإسلام السياسى ونسى هؤلاء أن الجمع بين الاتجاهين من رابع المستحيلات.

وإذا رجعنا إلى الدراسة نفسها سنجد أنه يتمنى انتشار الديمقراطية فى الدول العربية ويرغب فى أن يجتمع شملها تحت لواء عربى على غرار نظيره الأوربى وهو يتطلع إلى صورة واضحة لسماحة الإسلام وقدرته على مواكبة مقتضيات العصر الحديث لذلك أشار السيسى فى دراسته أن الديمقراطية حتى تنجح يلزمها مناخ ملائم من الناحية الاقتصادية والتعليمية والإعلامية ينمو معها ويتفاعل بها ويجب لهذا محاربة الفقر والجهل.

وكيف إذا اعترف صراحة فى الدراسة أن المؤسسات السيادية قد لاتقبل فى عالمنا العربى بالمسألة الديمقراطية بشكل سريع ومفاجئ.

هنا يتدخل الجد الضابط لكى يسأل حفيده عما يقرأ وطلب منه ملخصا لما قرأ وأخبره بدهشته من الهجوم على السيسى بلا مبرر..

قال الجد ضاحكا كيف لهم أن يقارنوا بالتشبيه بين مبارك وبين أفكار السيسى التى طرحها فى دراسته وما أعلنه فى تصريحات وبيانات أنهم يقولون فى مواقع عديدة بأنه رجل إسلامى ملتزم فهل كان مبارك كذلك؟!

السيسى الذى رفض أن تخلع زوجته الحجاب هل يتساوى بمبارك التى كانت زوجته تحارب الحجاب سرا وعلانية وقيل أنه لم تكن تقبل بحضور زوجة المشير طنطاوى للحفلات معها لأنها محجبة؟!

السيسى الذى كان رأس الحربة فى ٣٠ يونيو وكان الضمان الأول لهذه الثورة وحارسها وابتعد عن الصورة ليصبح فردا فيها وليس مسيطرا عليها ومع ذلك الشعب يحمل صورته ويهتف له ويجمعه فى لقطة مع الزعيم جمال عبد الناصر ويعتبره النسخة الجديدة منه مع اختلاف الظرف الزمانى والتاريخى.. إنه الوعى الشعبى الجماعى باللحظة والشخص والحدث ويكفى أنه فى دراسته التى قدمها فى الكلية الأمريكية وهو متواجد على الأرض الأمريكية انتقد سياستهم ودعمهم لأنظمة غير ديمقراطية فى الشرق الأوسط.. وسأل فى الدراسة هل يتقبل الغرب ديمقراطية الشرق إذا كانت ذات مرجعية إسلامية؟!.. وقد تنبأ بقبول الغرب بفكرة وصول الإسلاميين للسلطة وقد قال "ستيفين جيراس" المستشار الأكاديمى والمشرف على دراسة المشير السيسى فى أمريكا لا أنسى موقفا لهذا القائد الهادئ الجاد الذى يجيد اللغة الإنجليزية واستثمر وقت الدراسة إلى أقصى حد فى التحصيل بعكس غالبية من يعتبرون فترة الدراسة إجازة من الحياة العسكرية ويستمتعون بأوقاتهم.. وعندما استضفت مجموعة هؤلاء الدارسين احتفالا بهم فى منزلى على الغداء وأسرع الغالبية منهم للتسلية بالألعاب الإلكترونية بينما وجدت السيسى يجلس إلى أمى التى تبلغ من العمر ٨٠ عاما وراح يتبادل معها حديثا وديا حول بعض اللوحات العثمانية المكتوبة باللغة العربية.. ولاحظت أمى كما أبلغتنى بعد ذلك أن هذا الضابط المصرى يعتز جدا بدينه ومصريته وهو يأخذ من الحضارة الأمريكية ما يريد فقط وليس مبهورا بها مثل غيره..

هنا يتدخل الشاب الحفيد:

فى هذه الكليات ياجدى ماذا يدرسون؟

يجيب الجد:

لاحظ أن الطلاب قادة فى بلادهم وقد حصلوا من قبل على دراسات وشهادات عديدة لذلك يدرس نوعيات خاصة من المواد الرفيعة مثل: التفكير الاستراتيجى - نظريات الحرب الاستراتيجية - صياغة السياسات الوطنية - العلاقة فى النظم الديمقراطية بين الجيش والحياة المدنية.

لذلك احتاروا فى أمر السيسى وصعوبة تصنيفه

ماذا يقول

من يريد التعامل مع منطقة الشرق الأوسط عليه أن يضع فى حسبانه أن ثقافة شعوبها الأساسية دينية هكذا يستهل السيسى دراسته وكما نرى يعتبر الدين البوابة الرئيسية للدخول إلى الشرق الأوسط الذى يمتلك أيضا المخزون الأكبر من النفط والغاز الطبيعى على مستوى العالم كما أنه يتوسط المعمورة وبه قناة السويس ومضيقا هرمز وباب المندب ولا يمكن تجاهل البعد الدينى الذى يلقى بظلاله على المنطقة فهى مهد الإسلام والمسيحية واليهودية.

ويكشف السيسى أن مسألة تطبيق الديمقراطية فى الشرق الأوسط مرهونة بإزالة أسباب الصراع والتوتر وأهمها الصراع العربى الإسرائيلى حول المسألة الفلسطينية فإذا نظرنا إلى ضمانات الديمقراطية على المستوى الداخلى للدول تواجهنا مسألة ولاء الشرطة والجيش فى معظم هذه البلدان للنظام الحاكم أكثر من الولاء للشعب نفسه وهو صاحب السلطة والولاية لكن أهم ما يلفت الأنظار فى دراسة السيسى أنه لا يثق فيما يسمى فى الدعم الدولى لإرساء قواعد الديمقراطية فى الشرق الأوسط ودليله فى ذلك تلك المليارات التى انفقتها الإدارة الأمريكية فى غزو العراق بلا طائل وكان الأجدر بها أن تنفقها فى تنمية الاقتصاد إن كانت صادقة بالفعل فى نشر الديمقراطية ثم إن الغرب يتشكك كثيرا فى أن يجمع الإسلام الوسطى المعتدل بين المفهوم الغربى للديمقراطية وبين ثقافته الخاصة وقواعده الراسخة وأساسها العدالة والمساواة والحرية وهى فى حد ذاتها من علامات وفلاح هذه الديمقراطية وإن اختلفت الأسماء والمسميات ويعود السيسى فى دراسته إلى عهد

الرسـول محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت الدولة فى المدينة المنورة نموذجا للتعايش والتعدد والعدالة والمساواة والتكافل ومع ذلك هو لا يرحب بنظام الخلافة فى الوقت الحالى.

وهو يفرق تماما بين دولة دينية ودولة مدنية تحترم الثقافة الإسلامية مثال ذلك ماليزيا وباكسـتان وأندونيسـيا، وقد تأسسـت الديمقراطية فى أمريكا على أساس القيم المسيحية واليهوديـة وكان تأثير الكنيسـة واضحا فـى بريطانيا والديانات كلها من مشـكاة واحدة ومنهجها الأخلاقى واحد.

ويشير السيسى فى دراسته إلى خطورة الفقر والجهل فى مجتمعات الشرق الأوسط لأنها تسهم فى خلق حالة من التدين تختلف تماما عن روح الدين الحقيقى.

هنا يتوقف الجد عن الاسـتطراد فى شرح دراسة الضابط السيسى ويسأل حفيده المرشح للحربية ويتأهب لدخولها.. هل عرفت الآن أن العسـكرى الحقيقى لابد أن يكون سياسيا ومثقفا متدينا لأن قوة الجيوش تصبح غاشمة إذا لم تجيد قراءة الأوضاع حولها وتفهم طبيعة التعامل مع كل نوعية وكل ظرف وفقا لزمان ومكان كل حدث وحديث.

كمـا أن الدين الحقيقى يحقق التوازن بين قوة العسـكرى البدنية وعقيدته الروحانية.. فهل رأيت هذا فى الفريق السيسى وما كتبه للأمريكان فى عقر دارهم؟

هنا يسـأل الحفيد الشـاب وماذا كان رد فعل القادة نحو إنكار السيسى هذا فى أمريكا يقـول الجـد: هناك تقليـد فى كلية الحـرب الأمريكية أن يتم وضع أسمـاء القادة الكبار الذين درسـوا بالكلية ووصلوا إلى مناصب رفيعة فى بلادهم فى لوحة شـرف مطلية باللون البرونزى.. وأظن أن اسـم وصورة السيسـى سيتم وضعها بهذه اللوحة الخاصة مهما كانت وجهة نظر السـفيرة الأمريكية بالقاهرة حيث يتم الاستعانة برأيها فى ذلك وقد قرأت رأيا للجنرال انتونى كوكولو مدير الكلية يقول فيه اسم السيسى يليق بقائمة الشرف وسيتم وضعه قريبا مهما كان رأى السفيرة الأمريكية التى انتهت خدمتها فى مصر وغربت شمسها بينما شمس السيسى تشرق وبقوة أكثر من ذى قبل.

❑❑❑